الخطاب التربوي عند مالك بن نبي وعلاقته بمشكلة التخلف في الجزائر

دراسة تحليلية لكتاب شروط النهضة

The educational discourse of Malik bin Nabi and its relationship to the problem of underdevelopment in Algeria An analytical study of the book of conditions of the Renaissance

العقون تونسي
Et.lagoun@univ-blida2.dz
أ.د حنطابلي يوسف
Youcef1966@hotmail.com
جامعة البليدة2

تاريخ الاستلام: 2020/04/08 تاريخ القبول: 2020/10/23

ملخص:

لقد شغل موضوع الخطاب الدراسات الاجتماعية والأبحاث حيث أن هذه الأخيرة تؤكد على مركزية الخطاب والأفكار التي يتضمنها في توجيه الفرد والمجتمع ، والدولة والحضارة ، فالعملية الفكرية تمثل جانبا مهما من جوانب الشخصية الإنسانية وتوجه السلوك الاجتماعي من هذا ربط مالك بن نبي فلسفة الحضارة بفعالية الأفكار ربطا تلازميا سواء في تحديد هوية الحضارة، أوفي مدى تدخلها في أحوال الحضارة ، وجاء هذا العمل ليزيح الغموض عن الكثير من القضايا التربوية المتعلقة بالفرد والمجتمع ، وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي ، وكانت العينة قصدية متمثلة في كتاب شروط النهضة ، واعتمدنا في ذلك على أداة تحليل المحتوى وقد خلصنا إلى ضرورة الاهتمام بالبيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وصياغة منهجها ومضمونها العملي ،والقيام بإصلاحات تربوية فعالة تتوافق مع أسس المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الخطاب التربوي، التربية، الإنسان.، التخلف.

Summary :

The topic of social discourse has occupied social studies and research as the latter emphasizes the centrality of discourse and the ideas it contains in guiding the individual, society, state and

civilization, the intellectual process represents an important aspect of the human personality and the orientation of social behavior from this linking Malik bin Nabi to the philosophy of civilization The effectiveness of ideas is a correlative, whether in defining the identity of civilization, or in the extent of its interference in the conditions of civilization, and this work came to remove ambiguity about many educational issues related to the individual and society, and this study was relied on the descriptive approach, and the intentional sample was represented in an evil book I Renaissance .

Keywords: Educational discourse, education, human., Underdevelopment..

المؤلف المرسل: العقون تونسي ، الإيميل: Et.lagoun@univ-blida2.dz

مقدمة:

لقد أقتنع المفكرون وخصوصا التّربويون ، بأن كل المجتمعات التي سمعنا عنها أو رأيناها قد حققت قدرا من الثّقافة والحضارة وهذا لا يتأتى إلا عبر مراحل عديدة من التّكوين العقلي والفكري وقد اجتازت فيها ألوانا من السّذاجة والفطرة والطفولة ، ثم بعد ذلك وصلت طور النّضج والكهولة ، ونظرية الدورة الحضارية عند مالك بن نبي تمر بثلاث مراحل هي: مرحلة الروح ، ومرحلة العقل ، ومرحلة الغريزة . وهذا لا ينفي على العرب والمسلمين أنّهم لم يكونوا بدعا بين الأمم ، بل خضعوا للمؤثرات والعوامل المختلفة، والتي أسهمت كثيرا في بناء حضارتهم، التي كانت قادرة على تحقيق التّأسيس والتّثقيف والاستمرار ، لا يمكن لمجتمع أن يفهم أو يحل مشكلة ، ما لم يرتفع بخطاب إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها ، من ذلك نؤكد على أهمية الخطاب البالغة في عملية التغّيير في البّنية الداخلية لأي مجتمع .

أولا. مشكلة الدراسة:

إن المتفحص لتاريخ الحضارات والمجتمعات الإنسانية يلمس أهمية التّربية في ترسيخ الشعوب وتوجيه القيم والمعايير والمعتقدات وأنماط السلوك نحو النهوض أو الركون، لأن التّربية وسيلة أساسية للقضاء على المشكلات الاجتماعية التي تنشأ عن انتشار عناصر ثقافية جديدة. إن مسؤولية التّربية في فترة التغير الاجتماعي مثلا تتمثل في إصلاح الخلل داخل البناء الاجتماعي وذلك بفحص الآراء والأفكار والمعتقدات لكي تلعب دورا هاما في الوصول إلى حل للمشكلات الاجتماعية وهذا يقتضي من التّربية أن تستند في عملها على القيم الأصيلة التي يستند إليها التّراث والأساليب العلمية والإنسانية التي تعين على تطوير المجتمع، وفق قيمه الأساسية، وبالاعتماد على خطاب تربوي منبثقا من الخلفية العقائدية والفكرية والتّاريخيّة لكي يحقق التغيير الذي يتفاعل مع المكونات الاجتماعية والنّفسية للفرد.

ويعتبر الخطاب التّربوي في طبيعته أداة نهضة الشعوب والأمم، وهذا الموضوع قد أثار العديد من المنظرين والمفكرين في العالم العربي والإسلامي على حد سواء، من بينهم المفكر مالك بن نبي. ومن خلال عملنا هذا نسعى إلى تبيان المعالم التّربوية التي تعمل على إخراج هذا الإنسان من وضع إلى وضع آخ، وسيكون تساؤل الدراسة كالتالي: كيف عالج الخطاب التربوي لمالك بن نبي مشكلة التخلف من خلال كتاب شروط النهضة ؟ .

ثانيا. أهمية الدراسة:

نظرا للواقع الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في ظل كل المتغيرات السوسيولوجية والاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية ، وكل ما له علاقة بالإصلاحات في هذه المجتمعات الإنسانية وما يقابله من تأييد ورفض وخصوصا في الجانب التّربوي ، ورغم تنوع الإيديولوجيات داخل هذه المجتمعات ، التي أقرت على سيرورة البناء الحضاري المنشود.

لذا فإن من الأهمية بمكان العودة إلى مفكر كانت لـ آراء تربوية ، لم نلق لها بال في حين استفادت دول أخرى من أفكاره في تحديد استراتيجياتها ، في مجال الحضارة والثقافة والنّهضة.

من هذا المنطلق تأتي أهمية الدراسة حول "فكر مالك بن نبي" ، لما لـ من أهمية ثقافية وتربوية عميقة في معالجتها لكل المشاكل التي تعاني منها الجزائر خاصة ، والبلاد الإسلامية عامة ، وكل هذا نابع من الممارسة الفعلية لهذا المفكر ، من خلال واقعـ المعاش خلال فترة الاستعمار وبعد الاستقلال ، حيث أنـ مارس عدة مهام تؤهلـ بأن يكون طرحـ طرحا فعالا تشخيصيا للقضايا التربوية الكبرى. من خلال كل هذا تتضح أهمية دراسة الفكر التربوي البنائي لما لـ من مكانة بارزة في تفسير الواقع التربوي المعاصر، وأصالة روحـ الإسلامية العربية، ومن أجل التواصل والتأصيل، ولما يحتلـ من مكانة بارزة في أوساط العلماء، وأيضا من أجل تصفية كل ما علق بالتراث الإسلامي من نقاط سوداء طغت على صفحة بيضاء كانت مشرقة.

ثالثا. أهداف الدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. طرح بعض الجوانب الفكرية لمشروعـ الإصلاحي التربوي والحضاري من أجل الاستنارة بفكره والاسترشاد بـ.

2. الإسهام في إبراز النظرة المستقبلية لصاحب مشكلات الحضارة في العملية التّربوية لمالها من دور في الإقلاع الحضاري والتأكيد على دور الإنسان في بناء الحضارة.

3. الكشف عن بعض الأبعاد التّربوية في الفكر الحضاري لمالك بن نبي وإمكانية الاستفادة منها في واقعنا.

4. الكشف عن مدى توافق المضامين التّربوية في الفكر الحضاري البنّابي مع الاتجاهات التّربوية المعاصرة.

رابعا. تحديد مفاهيم الدراسة:

1.الخطاب: يدل الخطاب في لسان العرب على مراجعة الكلام، أي على اللغة التي يستعملها الأفراد في حركية التواصل. وهو مشتق من فعل خطب الذي من معانيه الشأن والأمر.والخُطبة موضوعها الرسالة التي لها أول وأخ. والتواصل بين الجماعات، والتفاعل في ما بينها، إنما يتم بهما معا. ومن معانيه أخيراً، التمييز بين الحق والباطل، والصدق والكذب.(1)

للخطاب وظيفة تواصلية بين الناس وهم يتدبرون شؤونهم وأمورهم الخاصة والعامة ويتبادلون الرسائل، سواء اتخذت تلك الرسائل صيغة كلام أم كتابة ويحدد العلاقة بين اللغة والمجتمع. (2)

2.الخطاب التربوي: هوالخطاب الذي يعتمد وينصَبُّ على التربية ، يلاحظ روبول أن لغة هذا النوع من الخطاب هي لغة إيديولوجية في جوهرها أكثر من سائر الخطابات ، فهي " تمارس أخطر سلطة وأعتاها على الإطلاق ، من خلال فرض القواعد التي ينبغي على المتكلم الخضوع لها بوعي منه أو بدون وعي.» (3)

3.التربية: لمصطلح التربية عدة دلالات لغوية، تشير إلى ما تتضمنه العملية التربوية من أنشطة، وتتضح مما يلي: (4)

•الإصلاح: ربَّ الشَّيء إذا أصلحه والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة وإنما التعديل والتصحيح.

•النماء والزيادة ربا يربو، بمعنى زاد ونما وفي هذا المعنى قوله عز وجل:"وتَرَى الأَرضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنَّزَلنَا عَلَيهَا اَلمَاءَ اِهتَّزَت وَرَبَت وَأَنبَتَت مِن كُلِّ زَوجٍ بَهِيج"."الحج/الأية05 ".(5)

•التربية عند دور كايم: " هي العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم تنضج بعد ، من أجل الحياة الاجتماعية. (6)

•يعرف مالك بن نبي التربية: "أنها عملية تمثل العناصر الثقافية التي يمتصها الفرد من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، لأن الثقافة ليست إلا المناخ

النفسي والاجتماعي الذي ينمو فيه الفرد بل ويكبر من خلاله. ويرى أيضا بن نبي أنها عملية منهجية هادفة: "أن نعلّم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أعني: أن نعلمه كيف يتحضر. (7)

4 . التخلف: " التخلف هو الفشل من الاستفادة الكاملة من الإنتاج، نظرا لتخلف المعرفة الفنية والفشل الناجم عن مقاومة المؤسسات الاجتماعية.»

"التخلف يعني الفشل في أداء الاقتصاد القومي بالمقارنة بالدول المتقدمة" (8)

خامسا. الدراسات السابقة:

1. الفكر التربوي عند مالك بن نبي من إعداد الدكتور: العابد مهوب، أطروحة شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع التربية ، نوقشت في سنة 2014، جامعة بسكرة الجزائر.

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي الاستنباطي كخطوة أولى، وذلك لمناسبته لطبيعة الدراسة التحليلية ، وقد كانت تساؤلات الدراسة متمحورة حول:

. ما هي الظروف الشخصية التي عاشها والتي أثرت بفكره؟

. ما طبيعة الفكر التربوي عنده ؟ وما الأبعاد التربوية لنظرية الحضارة؟ وما القواعد والأسس والشروط والأبعاد التي تقوم عليها التربية الاجتماعية؟

.ما دور وأهمية الأخلاق في بناء الحضارة؟ وما العلاقة التي تربطهما ببعض؟

.كيف تشكل المنظور التربوي من الزاوية التربوية عنده؟وما مظاهر وأسباب التخلف؟وما مقومات النهوض وركائز التنمية التربوية عند مالك بن نبي؟.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها هذا الباحث:

- شغف بن نبي في القراءة والمطالعة المستمرة لأمَّهات الكتب الغربية، التي شكلت وعي جيل من الأوروبيين ، فكون مالك بن نبي نفسه تكوينا عصاميا ، ولم تكن هذه الميزة متوفرة في واقع الأجيال الحالية.

-استنتاج لمجموعة من الأفكار التربوية، والمضامين ذات العلاقة في مؤلفات، وما تتضمن من قيم تربوية ذات أبعاد فكرية وسوسيولوجية.

-تعتبر مقاربة مالك بن نبي التنموية واحدة من أفضل المداخل التربوية، التي عالجت التنمية من كل جوانبها وعملية تشخيص لواقع مختلف.

2. الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزوالد اشبنجلر، من إعداد الطالب: جمال بروال، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة سنة 2013، شعبة فلسفة قسم العلوم الاجتماعية جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر.

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع، الذي يتناول بالتحليل ما قدم اشبنجلر في تصوره للدورة الحضارية ولمالك بن نبي، وبعدها قام الباحث بالمقارنة بين الموضوعين ، ليكتشف أوج التباين والنماء والتماسك، وجوانب التباين والمغايرة. وقد جاءت تساؤلات الدراسة متمحورة حول:

.كيف تحيا وتقوم كينونة الحضارات؟ وما هي أسباب قيامها وانهيارها وموتها؟ وكيف يمكن تجنب ذلك؟ .

.ما طبيعة العلاقة القائمة بين المفكرين في طرحهما لمفهوم الدورة الحضارية؟ وكيفية تبلورها؟ هل في علاقة تنافر؟ أم علاقة تجاذب للمنطلقات والأبعاد الفكرية والمعرفية لكلا المفكرّين؟.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها هذا الباحث:

- إن للحضارة عمرا ، اشبنجلر فسر الحضارة بعمر الكائن الحي (التفسير البيولوجي)، حددها في أربعة مراحل:الطفولة، الشباب، الكهولة، الشيخوخة.

في حين نجد مالك بن نبي قد حددها في ثلاثة مراحل مرحلة الروح (النهضة)، مرحلة العقل(التوسع والانتشار)، ومرحلة الغريزة(السقوط).

- كلا المفكرين، أعطى للروح والقيم أهمية كبرى لقيام الحضارة، اعتبرها مالك بن نبي الإسمنت الذي يربط عناصر الحضارة ويساهم في نشأتها.

سادسا. المنهج المعتمد في الدراسة:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي الذي يقوم به الباحث بوصف الظاهرة كما هي في الواقع وصفا دقيقا كماً وكيفاً، بجمع المعلومات النظرية والبيانات الميدانية عن المشكلة موضوع البحث ثم تصنيفها وتحليلها والوصول إلى نتائج.(9)

سابعا. عينة الدراسة:

هي جزء من المجتمع الكلي المراد تحليله فقدرة الباحث لا يمكنها التعامل مع جميع أفراد المجتمع، كذلك في دراستنا التي تقف على مضمون التخلف والتقدم عند مالك بن نبي الذي ترك إنتاجاً فكرياً معتبراً حول مشكلات الحضارة في شكل سلسلة من الكتب فعيينتنا كانت قصدية باختيار كتاب "شروط النهضة. "

ثامنا. أداة جمع البيانات:

تحليل المحتوى من أهم الأدوات البحثية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهو تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي، تطبق على المواد المكتوبة، والمسموعة، أو المرئية، والتي تصدر عن الأفراد أو الجماعات، ويسمح بالقيام بسحب كيفي أو كمي بهدف التفسير والفهم والمقارنة. (10)

تاسعا. تحليل العينة(كتاب شروط النّهضة لمالك بن نبي)

إن تحليلنا لكتاب شروط النهضة تم وفق مرحلتين، المرحلة الأولى استعرضنا فيها الخصائص العامة للكتاب والفئات المدروسة، أما المرحلة الثانية حددنا فيها خصائص الوحدات المقدمة المراد دراستها كما يلي:

1. المرحلة الأولى الخصائص العامة لكتاب شروط النّهضة:

هذا الكتاب هو مؤلف من سلسلة مشكلات الحضارة التي أصدرها مالك بن نبي، والذي أصدر سنة 1949تحت عنوان les conditions de la renaissan : باللغة الفرنسية (11)

كتاب شروط النهضة ينطلق من جزائرية النهضة، لأن الجزائر جزء من العالم الإسلامي، بقيت تدفع ثقل الاستعمار عنها أكثر من قرن، سكب مالك بن نبي واقعا اجتماعيا يستخرج البواعث للخروج من واقع التخلف.

العنوان: شروط النهضة

المؤلف: مالك بن نبي

ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين

التغليف: عادي غير مجلد

الرقم الاصطلاحي: 0555011

الرقم الدولي ISBN 978-9933-10-024-7 :

الرقم الموضعي: 303 (العمليات الاجتماعية.)

الطبعة الثانية عشرة: 1435هـ_2014م

تاريخ أول طبعة : 1979

المطبعة: دار الفكر _دمشق _سوريا

عدد الصفحات: 176صفحة

عرض الصفحة/طول الصفحة : 17*24 سم

كما نجد في بداية الكتاب فهرس المحتوى الذي يبين مواقع العناصر المعنية بالدراسة والصفحات المرقمة لها، هذا الفهرس يشتمل على بابين:

الباب الأول: باب الحاضر والتاريخ.

الباب الثاني: باب المستقبل.

عناصر الدراسة هي الواقع والتاريخ وعنصر الإنسان ومشكلة الاستعمار.

2. المرحلة الثانية الخصائص العامة لوحدات الدراسة:

2-1. الفئات والوحدات:

- الفئة الأولى. الحاضر والتاريخ ويشمل على الوحدات التالية
- الوحدة الأولى: دور الأبطال من ص 21إلى غاية ص 23.
- الوحدة الثانية: دور السياسة والفكرة بداية من ص 24 إلى غاية ص 29.

1. الوحدة الثالثة: دور الوثنية بداية من ص 30 إلى غاية 40.
2. الفئة الثانية: فئة الإنسان
3. الوحدة الأولى: توجيه الثقافة بداية من ص95 إلى غاية ص 93.
4. الوحدة الثانية: التوجيه الأخلاقي ابتداء من ص 94 إلى غاية ص 96.
5. الوحدة الثالثة: التوجيه الجمالي ابتداء من ص 97 إلى غاية ص 101.
6. الوحدة الرابعة: توجيه رأس المال بداية من ص109 إلى غاية ص 113.
7. الوحدة الخامسة: توجيه العمل ابتداء من ص 113 إلى غاية ص 122.
8. الفئة الثالثة: فئة مشكلة الاستعمار
9. الوحدة الأولى: المعامل الاستعماري لينطلق من ص 149 إلى غاية ص 155.
10. الوحدة الثانية: معامل القابلية للاستعمار يبدأ من ص156 إلى غايةص 160
11. الوحدة الثالثة: مشكلة التكيف يبدأ من ص 161 إلى غاية ص 164.

الوحدات التي تحظى بالدراسة في كتاب شروط النهضة

عاشرا. الإطار التحليلي للدراسة:

1. تحليل فئة الحاضر والتاريخ:

الجدول 1: يوضح مدى معالجة مشكلة التّخلف من زاوية الواقع والتاريخ.

الوحــدات	التّكرار	النّسبة %
دور الأبطال	25	%12.88
دور السّياسة والفكرة	64	%33
دور الوثنيّة	105	%54.12
المجموع	194	%100

هذا الجدول يوضّح مدى معالجة مشكلة التّخلف من زاويّة الواقع والتّاريخ حيث تظهر نسبة دور الوثنية المقدرة ب 54,12 % وهي نسبة معتبرة فهي متفوقة على النّسب الأخرى المتمثلة في 33 % لوحدة دور الفكرة والسّياسة وكذا نسبة دور الأبطال المقدرة ب 12,88 % وهذا التفوق بين النّسب يظهر جليا في عدد التّكرارات فتكرارات الوحدة الأولى 25 تكراراً مقارنة بدور الوثن الذي تقدر تكراراته 105 تكراراً أي إلى الضّعف أربع مرات.

فهذه الفئة تصور البيئة الاجتماعية للإنسان المسلم في حياته الخاصة، لأن مالك بن نبي تناول مشكلة المجتمع من خلال كتاب شروط النّهضة في أبعاد معينة يرى فيها المشكلة على أنّها مشكلة حضارية. من ذلك حلل عناصر الحضارة وكيف تتركب وما الذي يقود الحضارة في طريق النّهوض أو الانحطاط وبتحليله الاجتماعي والتّربوي وبحكم معايشته لذلك الواقع المرير بكل ما يحمله من ألم وجوع، وجهل تفشى في المجتمع كل ذلك حرّك في داخله وذاتيّته العمل على مواجهة هذه المشكلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية ومن عمق هذه المعاناة وملاحظاته الدقيقة لأوضاع المجتمع يبدأ مالك بن نبي في تحليله الدقيق في أركان التاريخ ويستهل باب الحاضر والتاريخ، بتلك الحقبة الهامدة، والتي حركتها بصعوبة (التقاليد البطولية) وفي ضل تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية واختلال أنساق البناء الاجتماعي وتعرّضنا للزّحف الاستعماري خلال القرن التّاسع عشر حيث أنه يرى بأن دور الشعوب كان بطوليا فقط ومن طبيعة هذا الدور أنّه لا يلتفت إلى حل المشكلات التي مهدت للاستعمار وتغلغله داخل المجتمع المشكلة هي في جوهرها مشكلة حضارته.(12) وبناء على هذا فإن مالك بن نبي يرى بأن التاريخ لا يلتفت إلى الأمم النائمة ، فالتاريخ لا يرحم حيث يتركها لأحلامها تسّعدها حينا وتزعجها حينا أخر ولكن التاريخ يقرر أنّ الشّعب الذي لم يقم برسالته، أي بدوره ما عليه إلا أن يخضع ويذل، ويرى بن نبي بأن حركة المجتمع والتّاريخ لا تكون إلا بتحرك الإنسان، وذلك ما تؤكده

النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ " ففي حركة التاريخ حركة الإنسان وفي ركوده من ذلك نجد أنفسنا أمام مشكلة تصنّف تحت عنوان الفعالية، فعالية الإنسان في التّاريخ (13) ونظرتنا إلى التاريخ ليس لها نتائج نظرية فقط بل لها نتائج عملية أيضا تتصل بسلوكنا ، فهي تحدد مواقفنا أمام الأحداث وهذا ما يؤكد صدق الفرضية الأولى. إذن الحقبة الهامدة والمتمثلة في دور الأبطال لم تكن كافية في تأهيل المجتمع كي يؤدي دوره ووظيفته في التّاريخ فقد كان لدور السياسة والفكرة مجال ركز فيه مالك بن نبي على أهمية الكلمة في خلق الظّاهرة الاجتماعية وهي عامل من العوامل الاجتماعية في تغيير الأوضاع العالمية. واستدل بذلك ما قام به جمال الدين في الإطار السياسي، ومحمد عبده في الإطار التّربوي، وابن باديس ودوره في إيقاظ المعنى الجماعي ، وأستند في ذلك أيضا بن نبي على مأساة الجزائر حتى سنة 1918 وأثر الفكرة الإصلاحية في تحريك المشكلة الجزائرية من خلال رواد الإصلاح. ورجوع الحاسّة الاجتماعية للمجتمع، لكن سرعان ما انحرف الخط الصاعد للحركة الإصلاحية عن مساره على الرغم من قوة عبارات الإصلاحيين، وذلك حين يؤدي التّفكير غير المنهجي إلى انتهازية خطيرة، فليس للانحراف طرق مرسومة نظريا، ولكن له مسارات يتعثر فيها السّائر ومن هذه المسارات السّياسية؛ فمفهوم السياسة عند مالك بن نبي: أنّ جوهرها هو مشروع لتنظيم التّغيرات المتتابعة في ظروف الإنسان وأوضاع حياته، هذه العلاقة التي تحدد وضع الفرد باعتباره غاية كل سياسة، ويعتبر الفرد أيضا عاملا لتحقيق تلك الغاية، من هذا المنطلق فالفرد وسيلة السياسة وغايتها ومن هنا تتوجه السّياسة إلى الفرد بمعنيين:" تتوجه إليه بصفته هو الفاعل الذي يحقق التّغيرات المطلوبة وبصفته هو الموضوع المطلوب تغييره".(14) يؤكد مالك بن نبي على أنه ينبغي للسياسة أن تكون"علم اجتماع تطبيقيا " لا مجرد نشاط فوضوي تعتمد في ذلك على منهج يقوم على التحليل ليوجد العناصر التي ستركب الحضارة، باختصار؛ يرى بن نبي أن السياسة

يجب أن تكون مستندة من جهة إلى دراسة دقيقة للواقع بعيدة عن الارتجال، ومن جهة أخرى أن تستند إلى ما يقدّم هذا الواقع من إمكانيات لتغيير مزدوج للذات والموضوع. من خلال ما سبق فإن نهج الإصلاح انطلق كظاهرة اجتماعية وفق الشّروط نفسها التي ولدت فيها الحضارة الأولى ، لكن المستقبل هدف بعيد ، وعدم وجود الفاعلية يعني تغير المسار. ذلك أن الاستعمار ليس عارضا في حقبة من تاريخنا، بل هو نتيجة حتمية لانحطاطنا القائم على رواسب الفوضى والتراث الوثني الذي بقي في أعماق الضمير الشعبي من الخرافات والدّروشة فإذا كانت الوثنيّة في نظر الإسلام جاهلية فان الجهل في حقيقتة وثنيّة ، وهكذا كانت الجزائر سنة 1925 على الرّغم من إسلامها. تدين بالوثنية التي قامت نصبها في الزوايا، من خلال اقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات، غير أنّ ما أن سطع نور الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد، وكان للإصلاح دور في ذلك، إلا أن الصّراع بين الفكرة والوثن استغلّ الاستعمار كي يفرق بين الشّعب ويبعثر قواه ولكن إذا كان غول الدّراويش قد صرع الإصلاح فإن غولا جديدا متمثلا في أوثان السّياسة وبطاقات التصويت قد ظهر في المجتمع ورواسب باقية إلى يومنا هذا وهو مظهر من مظاهر التّخلف في جميع المجالات، إلا أن الواقع الذي عرف العالم العربي والإسلامي مر بمحطات، عصيبة رسمت ملامح الواقع المعاصر بشتى مستوياتة، وشكل القرن العشرين إحدى هذه المحطات التّاريخية التي آذنت بتعطيل الدور الحضاري للأمة العربية والإسلامية من خلال حرب ضارية على إنسانها وترابها وأفكارها وقيّمها المستقلّة هذه الأزمات التي تسببت في كسر العلاقة النّفسية والإنسانية بين الشّعوب والأمم وتحطمت على إثر ذلك مكاسب حضارية إنسانية شيدتها الحضارة الإسلامية، المشكلة المطروحة تكمن في رسم " معالم طريق " تؤدي بالفرد إلى الارتباط بمثالياتة وعقائده والخروج بمبادئ الوحي من عالم (اليوتوبيا) إلى عالم الحركة

والتّفاعل من أجل أن يصّنع تاريخ بوسائل الخاصة ، والعمل على الخروج من التّخلف والتّخلص من أحلام المجد القديم في الأمة.

يقول علي عزت بيغوفيتش : ((ينتاب الإنسان أحيانا شعور بضرورة إحراق كل هذا التاريخ المجيد الذي أصبح ملاذا لحسراتنا ونحيبنا ولحياتنا المبنية على الذكريات ... إن كان ذلك شرطا لأن ندرك أخيرا أننا لا نستطيع العيش من التاريخ، وأننا يجب أن نعمل للإسلام شيئا بأيدينا)).(15) فإعادة البناء لا بد أن تخضع وتتكيّف مع منظومة القيّم التي جعلت في البناء القديم النموذج والقدوة، تفعيل الفكرة الدينية وذلك لا يأتي إلا بالرفع من القدرات والعمل على تطوير منهجية معرفية تربط بين المثالية والعقيدة والموروث الثقافي في ضل الواقع وما يحيط به من أفكار وأحداث. وبالنظر إلى الوضع الذي كانت به الجزائر إبان الاحتلال سنة 1830 كان غالبية المجتمع على مستوى كبير من التعليم يفوق مستوى التعليمي للجيش الفرنسي، مما دفع بالمستعمِر إلى وضع خطة منظمة لتحطيم هذه القيمة وإنزالها للحضيض والإنقاص من قيمة الإنسان وتحطيم قوته الكامنة، وهذه السياسة تضمنت إفقار الجزائريين وحرمانهم من التعليم وتضييق السبل أمام كل عمل منتج ليترك الاستعمار الجزائر سنة 1962 بلدا تبلغ نسبة الأمية فيه 93 % محطما ثقافته وهويته.(16) أما النخبة المتعلمة فكانت متفرنسة تماما أبقاها لخدمة مصالحه في الجزائر لكن هذه النسبة لازالت مرتفعة إلى يومنا هذا، فنسبة الأمية سنة 2005 تمثل 23,7 % وسنة 2000 بلغت 32 ،8 % وهذا بالرغم من مرور40 سنة من الاستقلال حيث قامت الدولة بإصلاحات تربوية تقوم على ديمقراطية التعليم والتعريب وإجبارية التعليم من 1962 إلى غاية 2003 وفق مقاربات ثلاث المضامين، والأهداف، ثم الكفاءات وبالرغم من كل هذا فإن الخلل مزال قائم في وظيفة التعليم والمشكل يبقى مطروح .

2. تحليل فئة الإذ ان:

الجدول 2: يبين معالجة مشكلة التخلف في عنصر الإذ ان

الوحــدات	التكرار	النسب %
توجي الثّقافة	82	%29.71
توجي الأخلاقي	18	%06.52
توجي الجمالي	36	%13.04
توجي العمل	60	%21.73
توجي رأس المال	80	%29
المجمــوع	276	%100

الإنسان هو من أكثر الفئات المدروسة في كتاب شروط النهضة ويبرز ذلك من خلال عدد الصفحات التي تتضمّن المقدرة بـ 57 صفحة من أصل 176 صفحة في الكتاب أي ما يمثل 32% من مجمل مجموع تكرار هذه الفئة 276 تكراراً والملاحظ للجدول يرى أن نسبة التوجي الثّقافي وتوجي رأس المال متناسبة الأولى 29.7 % والثانية 29 % بـ 80 تكراراً، ويعبران عن نسبة كبيرة مقارنة بغيرها من نسب الوحدات الأخرى المتبقية مثل وحدة التّوجي الأخلاقي بـ 6.52 % أي 18 تكرارًا إضافة إلى التّوجي الجمالي بـ 13.04 % وتوجي العمل بـ 21.73 % فالدلالة الإحصائية التي لابد من معالجتها في مشكلة التخلف هي التّوجي الثّقافي والعمل ورأس المال.

لقد أولى مالك بن نبي العامل البشري أهمية كبيرة باعتباره العنصر الأساسي في بناء الحضارة حيث أن كل قضية تناولها إلا وكان الإنسان هو العنصر المركزي فيها أو على الأقل كان لتلك القضية ارتباط ما ب. والسبب في ذلك أنّ هو مصدر نجاح أي مشروع بشري في التاريخ أو فشل،على مستوى الفرد أو الجماعة لذا فهو يؤكد على أن الإنسان هو الوحدة الأولى التي تكوّن المجتمع. وانطلاقا من هذا الاعتبار فإن الإنسان هو الأداة والهدف في آن واحد ولإنجاز أي مشروع في الحياة البشرية إنّما يتوقف كليا على مدى فعالية الإنسان في

التّوظيف الايجابي والفعّال للإمكان الحضاري وهذا من خلال استعداداته النّفسية والفكرية وما أودعه الله إياه من ثروات طبيعية في هذا الكون، ولتقديم صورة واضحة عن كيفية تأهيل الإنسان وتمكينه من الأداء الناجح لهذه الوظيفة لابد لنا أن نشير إلى المؤثرات التي يؤثر بها الفرد في المجتمع وهي: الفكر، والعمل، والمال، وكيفية توجيه هذا الإنسان في هذه الاتجاهات والمتمثلة في التّوجيه الثّقافي والعملي ورأس المال والأخلاق والجمال، لأن الفرد يؤثر من خلالها على المجتمع رغم تعدد مشاكله واختلافها عبر التّاريخ."فالأمر متصل بمشكلتين مختلفتين في أساسهما، فهناك من هم بحاجة إلى مؤسسات بينما هنا نحتاج إلى رجال، فمن الرجل تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها ولا سيما في الجزائر (17) ، فالجانب الذي تظهر فيه الحياة اليومية للفرد هو الجانب الذي يكون فيه جزء كبير من العبث واللافاعلية لانعدام فكرة التّوجيه التي تربط بين العمل والهدف في الأنساق الأخرى. فالتّوجيه حسب مالك بن نبي هو تجنب للإسراف في الجهد والوقت. وإدارتهم في ظروف زمنية وإنتاجية مناسبة لهم جميعا. قصد تحريك مجرى التاريخ نحو بناء هدف اكتساب معنى الجماعة والكفاح، منطلقين من الفكرة الدّينية. وبين أنّ التّوجيه السّليم لابد أن يعمل على تصفية العادات والتقاليد من الرّواسب المشكّلة للأفكار المبينة داخل الضّمير الجمعي، من أجل بناء فكر جديد يستطيع الإنسان من خلاله التخطيط لمستقبله. فاختلاف فردين من مجتمعين مختلفين هو اختلاف ثقافي، لأن الثّقافة تشكل المحيط الذي يتم فيه طباعة وإكساب الشّخصية للأفراد منذ الولادة، لأن الثّقافة هنا تمثل دستور حياة وليست علما يلقّن لطبقة دون غيرها لتعود إلى مستواها الحقيقي لتعبر عن التاريخ ونفهمها كنظام تربوي أي أساس التربية باعتبارها مركب اجتماعي تظهر لنا فيه الأخلاق والصلات الاجتماعية والذّوق الجمالي والمنطق العملي والصناعة، فهذه العناصر تبرز لنا التّركيبة التّربوية وتوجيهها، فالتّوجيه الأخلاقي والجمالي يوضح

تحديد اتجاهها والباقي توجيهها في بناء الحضارة، لأن الجمال بتوجيه هو إطار تشكل الحضارة من خلال العلاقة بين المصلحة العامة والخاصة أما الأخلاقي فهو اثر من أثار العلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة، لتظهر صورة الثّقافة، صورة التماسك والترابط تعطيها طابع يحدد عبقرية الإنسان بناءً على أخلاقه وأذواقه. هذه العبقرية تتمثل في مسيرة الحياة اليومية، فالإنسان الذي يصرف وقته في الفائدة الفاعلة للمجتمع فهو تمثّل الثّقافة وإذا أهدر هذا الوقت فقد فقدها، إذًا توجيه العمل هو نتيجة لتوجيه الثقافة.

في فكر بن نبي النّمو الاجتماعي إنهار في المجتمع الإسلامي عامة والجزائري خاصة، وذلك راجع إلى فقدان الثّقافة لدورها ووظيفتها داخل المجتمع وتمخض عن هذا إهدار الوقت وبالتالي فقدان ما صنعته الحضارة .إذا الفكر التربوي عالج مشكلة التخلف لدى الإنسان الجزائري وتبرز من خلال العناصر التربوية وتوجيهها لبناء الحضارة وهو ما يؤكد صدق الفرضية. الشئ المهم في المجتمع الناشئ هو الناحية التربوية لا الناحية الكسبية من هذا ينبغي أن لا نغفل عن الجانب التربوي ولا نقارن أنفسنا بالمجتمعات المتقدمة التي شعارها " كل جهد يستحق أجرا " ففي تقسيم العمل النسق التربوي مهمل تماما وبالتالي فقد الإنسان جزء من وظيفته داخل المجتمع بخلاف المجتمعات الأخرى مثل المجتمع الإسلامي العمل بمشاطرة الجميع وفق التوجيه الأخلاقي والجمالي لأن توجيه العمل ينطلق من الإنسان بمختلف شرائحه داخل المجتمع لأن كل فرد يمثل لبنة بالنسبة للمجتمع، ومدام يعمل هذا الإنسان وفق توجيه سليم فهو يبني الحضارة.

يرى مالك بن نبي أن اكتساب ثقافة الإنتاج لا بد لها من تناسق وترابط بين توجيه العمل وتوجيه الثّقافة وتوجيه رأس المال من هنا يتغير أسلوب حياة الإنسان من تخلف إلى تقدم ومن هنا، لا بد أن نتعرف على توجيه رأس المال الذي يعتبره آلة اجتماعية لا سياسية لأن مشكلة رأس المال تظهر في الناتج

الاجتماعي، هذا المصطلح ليس من المصطلحات المتعارف عليها في العالم الإسلامي أو الجزائري لأن الغالب هو مصطلح الثّروة الذي يبيّن المركز المالي لصاحبه ومدى استعماله له فالثّروة بهذا المفهوم ليس لها مكان في الاقتصاد أي تعبر عن صاحبها فقط بخلاف رأس المال فهو المحرك للنّسق الاقتصادي فالتوجيه له فكر مرتبط بالكيف لأن كل قطعة مالية لابد أن تخلق نشاطا وعملاً قصد بناء نموذج اقتصادي منطلق من توجيه العمل ليأتي بعدها الكم الذي يظهر في حركة المجتمع. وبالرجوع إلى الإنسان الذي يمثل غاية التربية والوحدة الأساسية للبناء النسق الكلي، والوحدات السابقة التي تعمل بتكامل فيما بينها ، نجدها مرتبطة بالنسق التربوي الذي يحرّك الفاعلية لدى الإنسان من خلال التأهيل الاجتماعي وعملية التنشئة الاجتماعية وأيّ اختلال بين وظيفة هذه الوحدات يؤدي إلى اختلاله ومنه اختلال النسق الكلي مما يؤدي إلى مشكلة التّخلف هذا الارتباط الحاصل يظهر بين النّظام التّربوي وباقي الأنظمة الأخرى فتطوره مرتبط ارتباطا وثيقا بالتّنمية والتّقدم وهذه العلاقة قديمة ووثيقة ، لأن أسلوب التّربية هو مدخلات ومخرجات تساهم في إحداث إنتاج شامل ، فقيمتها هنا غاية في ذاتها لأنّها تعبر عن جزء من الدخل القومي. ومن خلال العلاقة بين توجيه الثّقافة ورأس المال فهما يعملان على خلق نشاط وجهد مبذول لتغيير وضع هذا الإنسان وخلق بيئة جديدة، إذا فالعلاقة بين النّظام التّربوي، والنّظام الاقتصادي باعتبارهما من أهم الأنظمة التي تعمل على تكامل، وتوازن الأنظمة الأخرى للبناء الاجتماعي إضافة إلى تنمية المورد البشري وكيفية استخراج العائد من الاستثمار التربوي. إن الدراسات الاقتصادية أثبتت أن العائد من الاستثمار في التعليم يقدر بأضعاف من أمثال الفائض من الاستثمار المالي في مجالات أخرى، إذا فالنّظام التّربوي له دور فعّال في التّنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلى هذا الأساس فالنّظام التّربوي يعتبر الإنسان رأس مال بشري ذي قيمة عالية فاعلة مؤثرة في التّنمية، والملاحظ لما

حدث بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت الدول المتضررة من الحرب تعيد بناء نفسها اقتصاديا واجتماعيا على أساس الاهتمام بالإنسان والتّركيز عليه كقوّة فاعلة في عملية التّنمية، واستند العلماء في ذلك إلى التّجربة الألمانية واليابانية بعدما تبيّن أن شعوبها بدأت تصعد سلم التّقدم، هنا بدأ المفكرون والتربويون يخططون لتنمية الإنسان بدلا من تنمية رأس المال وحده، لأن أثمن ضروب رأس المال هو ما يستثمر في الإنسان. والنّظام التّربوي هنا يساهم في بناء المجتمع وتقدمه باتجاهين،اتجاه اجتماعي واتجاه اقتصادي، من ذلك التّربية لها وظيفتان، وظيفة اجتماعية تعمل على تأهيل الإنسان اجتماعيا وإعداده إعدادا يناسب بيئته من أجل ترقية المستويات الاجتماعية لإحداث التغيير اللازم داخل النسق الكلي،كما تعمل على إعداد هذا الإنسان وتدريبه كأيدي عاملة في جميع الميادين من أجل رفع الارتباط الثّقافي بالجانب الاقتصادي . وهذا الارتباط يزداد بزيادة الاستثمار في النّظام التّربوي (استثمار في التنمية البشرية).

أما الواقع الجزائري يظهر من خلال ما نستشفه من الإحصائيات التي توضح مدى الاهتمام بالفرد من خلال حجم الإنفاق على التّعليم الذي بلغ 4، 3 % من الناتج الداخلي الخام، أما الصحة فتخصص 3,6 % بينما البحث العلمي0.1 %، إن هذه النّسب تعبر عن حجم الاهتمام بالإنسان(18) فنسبة الإنفاق على التّعليم هي أكبر نسبة، إلا أنّها ضعيفة مقارنة مع إنفاق غيّرها من الدّول مثل ماليزيا التي يتراوح إنفاقها على التّعليم ما بين 17,7 % إلى 21 ،6 % من النّاتج الخام (19). إلا أن مصدر القلق والتوتر الاجتماعي يظهر في ارتفاع نسبة التّسرب المقدرة بـ 3/4 من حجم المتمدرسين لا يبلغون التّعليم الجامعي منها تسرب طوعي 33.58% ومنها بقرار من الأولياء نسبة 21.7% (20) ، وهو ما يفسر ارتفاع نسبة البطالة وعدم الكفاءة لتظهر لنا إحصائيات أخرى تعطينا صورة الإنسان البطّال من خلال واقع الفقر وسوء التّغذية والأمية ، حيث نجد

أن سنة 2000م كانت نسبة الفقر 22.98% ومعدل الأمية 32.8% وسنة 2005م بلغت نسبة الفقر 16.6% ومعدل الأمية 23.7% رغم انخفاض في النّسب إلا أن الرقم يبقى مقلقا، وهذا الاختلال يؤدي إلى استفادة فئة في المجتمع الجزائري على حساب باقي فئات المجتمع ، مما يجعل حجم الإنفاق من رأس المال على الإنسان غير ناجع،لأن نموذج الفساد هذا جعل الجزائر تدور في حلقة مفرغة .(21) وبتطرقنا للعلاقة بين النّظام التّربوي وباقي الأنظمة نجد أن الاستثمار في التّعليم الجزائري رغم حجم لا يرقى إلى مستويات التّقدم التي يتطلع لها الفرد الجزائري.

3. تحليل فئة مشكلة الاستعمار:

الجدول رقم 3 : يبين مدى معالجة م ألة الاستعمار لمشكلة التّخلف.

الوحدات	التكرار	النسبة %
الاستعمار (المعامل الاستعماري)	62	%42.5
القابلية للاستعمار	43	%29.45
مشكلة التكيّيف	41	%28.05
المجموع	146	%100

تبين النسب الإحصائية المسجلة في الجدول أن هناك تكافؤ بين وحدة القابلية للاستعمار ووحدة مشكلة التكيّف ، فالقابلية للاستعمار نسبت 29,45 % ونسبة مشكلة التكيّف 28,08 % تدل هذه النسب على التكافؤ في معالجة مشكلة التّخلف ، مقارنة مع نسبة وحدة المعامل الاستعماري كونها أعلى نسبة مقدرة بـ 42 ،46 % وهي الأكثر تكرارا من حيث معالجتها لمتغير مشكلة التّخلف.

تحدث مالك بن نبي عما يسمي معاملين فعلا فعلهما في الإنسان المستعمر المعامل الاستعماري ومعامل القابلية للاستعمار حيث أعطى لهذا الواقع الاستعماري مستودع النّفسي في عمق ما يسمي القابلية للاستعمار ، التي هي إحدى نتائج انهيار الحضارة الإسلامية في منعطف(ما بعد الموحدين) ، حيث

حدد فعل الاستعمار الذي استجابت لـ قابلية افتقدت إرادتها الواعية ، ومعالجة الواقع الاستعماري تكون من زاويتين زاوية المسّتقر التّاريخي في الشعوب المستعمرة الذي أنتج مفهوم المعامل الاستعماري المؤثر في شخصية الإنسان وزاوية الوسائل التي يمارسها الاستعمار في قتل عمق شخصية المستعمر، بدأ مالك بن نبي في زاوية المعامل الاستعماري من أجل رسم حدود القابلية للاستعمار ، وذلك إذا نظرنا إلى الأمر من النّاحية الفنية فإن للفرد قيمتين: الأولى بيولوجية والثانية صناعية يكسبها من وسط الاجتماعي من هنا تبدأ قضية الاستعمار تهمنا، وذلك بفرض عاملا سلبيا على الفرد نسميه بالمصطلح الرياضي (Coefficient) الاستعماري ، وقد تفطن لهذا القائد الفرنسي (peugeaud) حيث عمد هذا الرجل عام 1870 باستقدام المعمرين إلى الجزائر وعمدت فرنسا وخصوصا بعد هزيمتها أمام روسيا، على الإنقاص من قيمة الفرد الجزائري في مختلف المواقع وخصوصا الجانب التعليمي فقد وجد الفرد نفسه أمام حكام بغير شفقة، ومستخدمون بلا ضمير، وشبكة مسمومة من الأحقاد تعمل على نشر الأفكار المسمومة المحطمة لمصالحه ،هذا هو الواقع الاستعماري وهو ذلك المعامل الاستعماري لكن ردة الفعل كانت بلسان السياسة فطالبوا الحقوق واغفلوا الواجبات .إن الواقع الاستعماري قد أيقظ الشعب الذي استسلم لنوم عميق، والتاريخ يثبت أن كل شعب يستسلم للنوم فإن الله يبعث عليه سوطا يوقظه، ويرى أن مفهوم المعامل الاستعماري يقوم على عنصرين أساسيين:

العنصر الأول: ويعبر بأنه روح القيصرية فيهدف عبره الاستعمار إلى إنقاص القيمة الأساسية لمكونات الشخصية الجزائرية المستمدة من روح الحضارة الإسلامية.

العنصر الثاني :إن هذا الواقع الذي أنشأته روح القيصرية والاستعمار قد أيقض الشعب الجزائري ، من أجل الخروج من مأزق الاستعمار واستعادة

النّهضة من جديد ، هذان العنصران المهمان هما اللذان يسوغان فكرة الكتاب في تحديد شروط موضوعية لكيفية الخروج من مأزق الاستعمار وذلك بتحديد أسباب الدخول للمأزق ودراستها، فالمعامل الاستعماري حسب فكره يستمد فاعلية قوّته من معامل القابلية للاستعمار، وما نلاحظه في هذا الجانب أن الفرد الجزائري يقبل بتصنيفه تحت عنوان الأهلي (Indigène) وهكذا استأهل كل ما ترمي إليه المقاصد الاستعمارية من تقليل قيمته من كل ناحية حتى اسمه،فبرنامج الاستعمار في التقليل من قيمة الفرد الجزائري تنطلق من المنخفض الداخلي الذي يستدرج معامل القابلية للاستعمار. وقد سخر المستعمر طاقتنا لمصلحته، لذا يعتمد في إنجاح خطته على قابليتنا لاستيعابها، وهي :

1/البطالة التي تعمل على إخراج الفرد من منافسة العرض والطلب عمالة بثمن بخس.

2/جهل وأميّة تعزل الجزائري عن خيارات إسهامه في نشاط يتطلب العلم والمعرفة الفنية.

3/انحطاط أخلاقي يساوي تفشي ظاهرة الرذيلة، ويفقد المجتمع قيمته التّاريخية في الأخلاق والتّماسك.

4/قيام الاستعمار بتشتيت المجتمع الجزائري وتفريق أفراده نتاجها شيوع السياسات الانتخابية، التي نصرف في سبيلها ما لنا من مال. من هذا تصبح العلّة مزدوجة، والاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية، إلا لأنه درس أوضاعنا النّفسية دراسة معمقة، وأمام هذه المشكلة كما رآها مالك بن نبي يتحدد مشروعه المستقبلي الذي وضحه في كتبه تحت عنوان (مشكلات الحضارة) حيث أنّه في الفصل الأخير من كتاب شروط النّهضة تحدث عن مشكلة التّكيف يطرح فيه أشكالا جديدة من السّلوكيات في الواقع الجزائري وهي دخيلة على المجتمع وانطلق من قاعدة أساسية في علم البيولوجيا وعلم

الاجتماع، هي اتجاه الفرد ونزوعه إلى التّكيف مع الوسط الذي يعيش فيه ومن قوانينه غريزة التّشبه والاقتداء وهذا ما يؤكد صدق الفرضية. ففي معادلة الاستعمار والقابلية للاستعمار فقد المجتمع الجزائري توازنه وهو يبحث عن توازن جديد. والواقع يثبت ذلك من خلال ما جاء به مالك بن نبي حيث أنّه يرى هذا الاختلال في التّوازن قد تجلى في المظاهر التّالية:

-انتشار الفكر الليبرالي في أوساط الشباب الذي تغذى من ثقافة ضيقة.

-انتشار ظاهرة الشك في كل شيء في أوساط الشباب حيث أصبح يرى بأن المدنية هي الانتصار في معركة اقتصادية يحتلّها المحتكرون وأصحاب السُّوق السَّوداء.

-وهناك مصدر ثالث يرى بأن المدنية في الأعراس الانتخابية والمظاهرات العمومية .

-أما المظهر الرابع هو ذلك الشّاب السّلفي المملوء بذكريات الماضي فهو يظّن أنّه يغير نظام المجتمع بتطهير لغته وتطبيق النّحو والصّرف.

-ويقابله الذي يرى المدنية في معاقرة الخمر.

-وأخر يرى الحل في تحرير النّساء.

ويبقى أخيرا اللاإرادي المقتنع بحاله ، المنسحب من المجتمع ومن واجباته الاجتماعية. هذه المظاهر تشير إلى درجات متعددة من التّكيف مع مجرى الحضارة الغربية. لقد أمعن مالك بن نبي في تحليل مشكلات التّخلف المزّمنة التي يعاني منها المجتمع ومن هذه المشكلات مشكلة الاستعمار ومرض القابلية للاستعمار حيث أن مالك بن نبي هو مبتكر هذا المفهوم الذي استخدم في دعم توجهات متناقضة وهذا المفهوم يلخص نصف مشكلة الاستعمار ؛ فهو يطلب منا إلقاء الضوء على العيوب الداخلية في بنى المجتمعات التي وقعت ضحية الاستعمار ومالك بن نبي لم ينكر دور الاستعمار في صناعة التّخلف وبالذات في الجزائر ويعتبر بأن القابلية للاستعمار بحد ذاتها نتاجا لهذا الاستعمار وليست

مقدّمة مسببة لـ ، لكن غيرة هذا المفكّر على المسّلمين وما كان يقصده من مصطلح القابلية للاستعمار ما هو إلا حث لأفراد المجتمع على نفض غبار التقاعس والكسل العقلي والجسدي؛ والنهوض لبناء حضارة الإسلام من جديد حضارة قوية لا يستطيع الاستعمار اختراقها. أما في أيامنا هذه فاستعمال المفهوم نراه مثلا من منطلق إصلاحي أو من رؤية تريد بصورة مباشرة أو غير مباشرة تبرير الخضوع السّياسي والاقتصادي والثّقافي للدول الكبرى عبر التركيز على فكرة أنّ العيب فينا ، والمعنى العملي النهائي لهذا التّوجـ هو تبرير الخضوع والتّطبيع وقد لا تبدو هذه النتيجة العملية حتمية ولكننا نراها دوما .

4. محصلة التحليل لكتاب شروط النّهضة:

الجدول 04: يوضح ذ ـبة معالجة مشكلة التّخلف لكتاب شروط النّهضة.

المواضيع		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
فئة الحاضر والتّاريخ	دور الأبطال	25	%4.05	194	%31.47
	دور السّياسة والفكر	64	%10.38		
	دور الوثّنية	105	%17.04		
فئة الإنسان	توجيـ الثّقافة	82	%13.31	276	%44.81
	التّوجيـ الأخلاقي	18	%2.92		
	التّوجيـ الجمالي	36	%5.84		
	توجيـ العمل	60	%9.74		
	توجيـ رأس المال	80	% 13		
فئة مشكلة الاستعمار	المعامل الاستعماري	62	%10.06	146	23.71%
	القابلية للاستعمار	43	%6.98		
	مشكلة التّكيف	41	%7		
المجمـوع		616	%100	616	%100

إن نسبة 44.8% هي أعلي نسبة مدروسة في كتاب شروط النّهضة الممثلة لفئة الإنسان مقارنة بفئة الحاضر والتّاريخ بنسبة31.47 % وفئة مشكلة الاستعمار بنسبة23.7% ، كما تظهر وحدة التّوجيـ الثّقافي كأعلى نسبة

بـ13.31% بعد دور الوثن الذي تمثل نسبتـ 17.04% مقدرا بـ 105 تكراراً ، ثم توجيـ رأس المال12.98% بينما نسبة المعامل الاستعماري ودور السّياسة والفكرة متقاربة جدا بفارق 0.32% فيما باقي الوحدات الأخرى هي أقل من 10 .

يظهر من خلال هذا العمل الذي قام بـ المفكر مالك بن نبي والمتمثل في دراسة تتعدى حدود الجزائر، حيث أنّها تتضمّن المشكلة الإنسانية في كافة عناصرها والمتمثلة في الإنسان، والتراب والوقت، هذا البناء النّظري الذي يلقي الضوء على التجديد الإسلامي الذي يبرز فيـ قطبا النّهضة: الروح والفن. وبناء على المحصلة التركيبية للجدول رقم4 فإن مالك بن نبي ركّز في تحليلـ الدقيق المنهج لمشكلة التّخلف على الإنسان باعتباره العنصر الأساسي ويبرز ذلك من خلال عدد الصفحات التي تضمنت فئة الإنسان المقدرة بـ57 صفحة من أصل 176 صفحة من الكتاب بنسبة32% من حجم الكتاب وكيف يؤثر هذا الإنسان في تركيب التّاريخ والملاحظ في هذا القرن بأن الفرد يؤثر في البناء الاجتماعي بثلاث مؤثرات لها من الأهمية بمكان في بناء نسق عام تعمل فيـ الأنساق الفرعية على التّكامل والتّوازن والبقاء،هذه المؤثرات تتمثل في: الفكر،والعمل، والمال وحاصل هذا العمل متمثل أيضا في قضية الفرد وتوجيهـ في اتجاهات ثلاثة :التّوجيـ الثّقافي، التوجيـ العملي، وتوجيـ رأس المال. بناء على هذا فالمنطلق تربوي ويخص النّسق التّربوي وعلاقتـ بالأنساق الأخرى داخل البناء الاجتماعي، ومن أدوار النّسق التربوي أنـ لا يهتم فقط بالمهارات المعرفية التي يتعلمها أفراد المجتمع لأنّها لازمة فقط لتحقيق النّمو الاقتصادي، بل هذه المهارات المعرفية لازمة أيضا لتحقيق التّنمية السّياسية والاجتماعية، فالتّربية أداة لتحديث المجتمع في المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة على السواء.(22)من هذا ارتبط النّظام التّربوي بالتّنمية والتّقدم والاقتصاد. فهناك علاقة وثيقة بين التّنمية وأساليب التّربية، من حيث أنّ التّربية هي بمثابة مدخلات ومخرجات للإنتاج الشّامل وأن قيمة التّنمية تبدو في أنها غاية لأنها تعتبر جزء من الدخل

القومي ومن خلال العلاقة الموجودة بين النّظام التّربوي والنّظام الاقتصادي باعتبارهما من أهم الأنظمة التي تعمل على تكامل وتوازن الأنساق الفرعية للنّسق العام، إضافة إلى الحاجة لتنمية الموارد البشرية وكيفية استخراج العائد في الاستثمار التّربوي، من هنا كان الارتباط وثيقا بين التّربية والتّعليم والاقتصاد، إذ لم يعد ينظر إلى العملية التّعليمية على أنّها نوع من "الخدمة " تقدم للنّاس في عزلة عن العملية الاقتصادية، وإنّما أصبح ينظر إليها على أنّها "استثمار " بصورة أساسية، ولاشك أن الرّبط بين التّعليم والتّنمية الاقتصادية والاجتماعية يتضمن تنّمية الموارد البّشرية، أي زيادة المعارف والمهارات والقدرات لدى جميع أفراد المجتمع واستثمارها بصورة فعالة في تطوير النّظام الاقتصادي والسّياسي والاجتماعي. كما أكد جميع المهتمين بقطاع التربية وبالإجماع وباختلاف توجهاتهم على أن المدرسة الجزائرية تعيش أزمة حقيقية، وتتخبط في مشاكل كثيرة تستوجب إعادة النظر في المنظومة التربوية والإسراع بإصلاحها. فمشاكل المنظومة التربوية تتمثل في تداعيات النظام الديمقراطي خلال النصف الأول من التسعينات الذي أحدث صدعا في المدرسة. جاء ذلك مع إقرار التعددية الحزبية، وأنعكس ذلك على المدرسة من خلال القناعات الحزبية للمعلمين والأساتذة على أدائهم التربوي قي مختلف مراحل التعليم، واتسعت دائرة الصراع بين الفرانكفونيين والمعربين، من ذلك عاشت المدرسة فترة من الجمود واللا استقرار بسبب الصراعات الإيديولوجية والسياسية التي أعاقة طريقها. إضافة إلي مشاكل أخري، تمثلت في التدهور الأمني والحالة الاقتصادية التي أثرت على المدرسة الجزائرية، تخلي الآباء ولجان أولياء التلاميذ عن مسؤولياتهم، نقص الوسائل البيداغوجية والأدوات التي بفضلها تتحقق العملية التعليمية التعلمية، تدني مستوى التعليم بسبب كثافة البرنامج وكثرت ساعات التدريس. الازدياد الكبير في نسبة التسرب حيث أن هذه النسبة في

تزايد، وكذا نسبة الأمية المرتفعة، وكانت هذه من أهم المشاكل التي كانت المنظومة التربوية تعاني منها.

خاتمة :

بناء على ما قدمناه في هذه الدراسة من استعراض وتحليل لبعض الأفكار التربوية لمالك بن نبي وعلاقتها بمشكلة التّخلف في العالم العربي والإسلامي والجزائر خاصة.

ومن خلال هذه الدراسة فقد أثرنا هذه الإشكالية ليس فقط من أجل الحلول أو إخراجها من حيّز الأفكار إلى حيّز الواقع؛ لأن إخراجها يحتاج منا جميعا إلى تضافر الجهود، والإخلاص في العمل والإيمان بـ، بهذا التضافر في الجهود على اختلاف مستوياتـ قد نقترب من الهدف الذي ننشده فقد يكون ما قدّمـ مالك بن نبي في تحليلـ لواقع المجتمع وأسباب تخلفـ وانحطاطـ والمآسي التي تلّم بـ هوتحليل لا يعني بالغرض كلـ لأن الظروف والبيئة الاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية ليست كما هو اليوم فالواقع غير ذلك ولكننا نزعم أنّـ قد يكون قديما – جديدا في مبناه ومنحاه إذا نظرنا إليـ من أفق أوسع وانطلاقا من أن ما هو كائن لـ مبررات الوجود، وليس مبررات الخلود، من هذا المنطلق ينبغي على أساليب العمل أن تتبدل بتبدل الأحوال، والعقل البشري ليس لـ حدود زمنية أو مكانية لذا ينبغي العمل على التفكير في بدائل متنوعة لتحقيق أهدافنا من أجل الوصول إلى فكر حقيقي يعمل على بناء مجتمع متقدم، مجتمع يعتمد على الأفكار الحيّة وليس الميّتة ويعتمد على عالم الأفكار قبل عالم الأشياء .ومن نتائج هذه الدراسة نتطرق إلى مجموعة من التوصيات نذكر منها:

- ضرورة الاهتمام بالبيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية وصياغة منهجها ومضمونها العملي من خلال الدراسات الأكاديمية الجادة.

- ضرورة الرفع من نسبة المقروئية في العالم العربي والإسلامي والجزائر الخاصة.

- الاهتمام بالتربية والتنشئة الاجتماعية من خلال تكييف المجتمع مع المستجدات الجديدة مع المحافظة على الأصالة وذلك من خلال تربية عملية مشكلة تنظم سلوك الأفراد وتكسبهم الخبرات اللازمة وتعمل على الضبط الاجتماعي،وتعمل على التحضر والنموالإدماج الاجتماعي .

- القيام بدراسات علمية حديثة تتوافق مع الواقع الجديد للعالم وذلك بالاعتماد على مقومات تعالج فعلا التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية ،والسياسية، والتربوية ، والنفسية ، والثقافية.

- القيام بعملية تشخيص حقيقية لواقعنا المختلف من خلال تحليل وتفسير واستنباط العجز والقصور على المستوى النفسي والاجتماعي.

- القيام بإصلاحات تربوية فعالة تتوافق مع أسس المجتمع

- التخلص من معامل القابلية للاستعمار الباقي إلى يومنا هذا من خلال القهر العالمي أو سيطرة القوى العالمية وذلك واضح في برامجنا الاقتصادية والتربوية على الخصوص من خلال فشلها الدائم وعدم التوازن وبقاؤنا في التكديس ومعامل الاغتراب.

- ضرورة الربط بين الحضارة والتنمية ذلك أن الحضارة هي تنمية، تقدم ، تطور، مسايرة الواقع وفق المرجعية الحضارية أما التخلف، انحطاط، تقهقر، تصدع، تكديس، فشل، معامل القابلية للاستعمار .

- ضرورة الاعتماد في التنمية على عالم الأفكار ثم عالم الأشياء.

- ضرورة الاهتمام بالإنسان ، والتراب ، والوقت.

- ضرورة الرجوع إلى المرجعيات الإسلامية الأصلية بوصفها هي الخزان الذي تأخذ منه المشاريع منهجها ومضمونها التغييري.

- ضرورة ربط الاقتصاد بالتربية وذلك لا يأتي إلا من خلال خطة أوإستراتيجية تربوية مدروسة دراسة معمقة تعيد الإنسان إلى دوره الطبيعي في الحياة.

- العمل على الاستفادة من الطاقة الكامنة داخل المجتمع في بناء منضومة اقتصادية جادة تراعي الواقع الاجتماعي.

- الاهتمام بالفرد في البناء الاجتماعي باعتباره وحدة أساسية في البناء من خلال دوره ووظيفته ومراعاة ظروفه الاجتماعية والمعيشية.

- ضرورة الكشف عن مواطن المرض داخل المجتمع من اجل تحديد العلاج الحقيقي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال دراسات تاريخية تبحث وتحلل البعد التاريخي في الأزمة التربوية في الجزائر.

الهوامش

1. عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت،ط1،2008،ص 13.
2. عبد السلام حيمر، في سويولوجيا الخطاب،ص 15.
3. أوليفي روبول، لغة التربية، تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة مر أو كان، دار إفريقيا الشرق، بيروت/المغرب، ب ط،2002،ص8.
4. خالد بن حامد ، أصول التربية الإسلامية، دار عالم للكتب، بدون ب، 2000، ص17.
5. القرآن الكريم ، سورة الحج / الأية05.
6. العابد المهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة،2014 ص 12.
7. عمر النقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ط1، 2009، ص 53-49.
8. ليلى العجال، واقع التنمية وفق مؤشرات الحكم الراشد في المغرب العربي، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010، ص 27.
9. رشيد زرواتي، مناهج وأدوات البحث في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة، الجزائر،ط1، 2007،ص 86 .
10. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، دار القصبة الجزائر،ط2، 2006، ص70.
11. عمر مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، دار الفكر، سوريا ،ج1،2013، ص435.
12. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا،ط12، 2014 ، ص21.
13. محمد شاويش ،مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، سوريا،ط1، 2007 ، ص 41
14. محمد شاويش ،مالك بن نبي والوضع الراهن، ص 49
15. مولاي المشيشي ، مالك بن نبي، دراسة استقرائية مقارنة، دار النايا، سوريا،ط1،2012 ،ص28.
16. محمد شاويش ،مالك بن نبي والوضع الراهن، ص 13
17. مالك بن نبي، شروط النهضة، ص81.

18.نصيرة قوريش، التنمية البشرية في الجزائر وآفاقها في ظل برنامج التنمية 2010-2014، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد،2011، ص 38.

19.حاجي فطيمة، واقع السياسات التعليمية في ماليزيا ومدى استفادة التجربة من هذه التجربة، المجلة الجزائرية للسياسة العامة، العدد 4، 2014، ص 59.

20.نصيرة قوريش، التنمية البشرية في الجزائر وآفاقها في ظل برنامج التنمية ، ص 38.

21.وارث محمد، الفساد وأثره على الفقر، إشارة على حالة الجزائر، دفاتر السياسة والقانونية، العدد، 2013، صفحة 94.

22.شبل بدران، وحسن البيلاوي، علم الاجتماع التربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، مصر،ط1، 2003، ص 21.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرءان الكريم
2. ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، دار صادر للطباعة والنشر،1990.
3. العابد الميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2014.
4. حاجي فطيمة،إشكالية الفقر في الجزائر في ظل البرامج التنموية، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2014.
5. حاجي فطيمة، واقع السياسات التعليمية في ماليزيا ومدى استفادة التجربة من هذه التجربة، المجلة الجزائرية للسياسة العامة، العدد 4، 2014.
6. خالد بن حامد ، أصول التربية الإسلامية، دار عالم للكتب، 2000.
7. .رشيد زرواتي، مناهج وأدوات البحث في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة، الجزائر،ط1، 2007.
8. .شبل بدران، وحسن البيلاوي، علم الاجتماع التربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، مصر،ط1،2003.
9. عمر النقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر،ط1، 2009.
10. عمر مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، دار الفكر، سوريا، ج1، 2013.

11.فوزية بريون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، سوريا،ط1،2010.
12.ليلى العجال، واقع التنمية وفق مؤشرات الحكم الراشد في المغرب العربي، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة،2010.
13.مولاي المشيشي ، مالك بن نبي، دراسة استقرائية مقارنة، دار النايا، سوريا،2012.
14.مالك بن نبي، المسلِم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، سوريا،ط12، 2014
15. .مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، ط12، 2014.
16. .محمد شاويش ، مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، سوريا،ط1،2007.
17.موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة ،الجزائر،ط2 ،2006.
18. .نصيرة قوريش، التنمية البشرية في الجزائر وآفاقها في ظل برنامج التنمية 2010-2014، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر،العدد ،2011.
19. .وارث محمد، الفساد وأثره على الفقر، إشارة على حالة الجزائر، دفاتر السياسة والقانونية، الجزائر،العدد ، 2013.